الطيب صالح فى حوار على حافة السلفية والتحريض والعولمة.. والسخرية:

(١) موسم الهجرة إلى التراث!

- أهم ظواهر الأدب العربى المعاصر هو الحوار مع التراث!
- التراث ليس كراكيب الأنتيكة فى غرفة مهجورة من بنائنا الحضارى المعاصر، ولكنه جزء مهم جدا من ذواتنا!
- ثلاثية نجيب محفوظ أغنت الناس عن قراءه موسوعات فى التاريخ والسياسة.
- لم أفهم فرنسا إلا بعد قراءة بلزاك.
- الجانب الإبداعى فى الأمة مهم جدا، ولعلنا فى العالم العربى - إلى الآن - لم نفهم تماما قيمة هذا الإبداع.
- فى التراث السياسى للاستبداد ما يغرى المتطرفين بالالتصاق به. مثل مقولة زياد بن أبيه: «والله لنخوض إليكم الباطل خوضا حتى نصل إلى الحق فيكم»!!

- حدث انقطاع فى ذهننا، وفى تاريخنا، وفى مساهمتنا الإنسانية، فضلا عن إحساس عميق بالدونية، جعلنا ننظر إلى كل شىء وكأنه هابط علينا من السماء!
- الحوار مع ماضينا واجب، ولكن حرية الرأى واجبة كذلك، ولا يوجد ما يجعل حسن الترابى أفضل من العبد لله الطيب صالح!!
- الإعلام التليفزيونى ألهى الناس عن الاستمتاع بالكتاب، والموسيقى، وحتى الاستمتاع بالحوار أو بالكلام.
- الفرد العربى - الآن - غير قادر على التركيز، من فرط ما يتعرض له من تشويش تليفزيونى.
- الإعلام التليفزيونى العربى يحير الناس.. والتطرف ينجح عند الحائرين!
- إعطاء المعلومات الصحيحة للناس - عبر الإعلام - ليس خطرا على الدولة، ولكنه يقوى دعائم الدولة!

obeikandl.com

أردت هذا الحوار مع الأديب الطيب صالح لزوما لما يلزم، ولم أشأ كما لم يشأ الرجل، أن نجعل منه (تساوقا مع العادة أو التقليد الإعلامى والصحفى العربى) لزوما لما لا يلزم.

ولذلك ستجد خطا دراميا واحدا ينتظم هذا الحوار، كما ستجد سلاسل من تبادليات نشطة بين حوافه ومجراه.

هواللقاء الثانى على الورق معه.

وبين اللقاءين عشر سنوات، وعشرات اللقاءات الشفهية.

وحين قررنا ـ معا ـ أن يجمعنا لقاء ثان مكتوب، كان قرارنا يصدر عن إيمان عميق، بضرورة الحوار، واقتناع كبير بأن المثقف إذا كان مهموما ـ بالفعل ـ بقضاياه التى يثيرها مع رموز ونجوم وأقطاب محيطه الاجتماعى والثقافى والسياسى، لابد أن يضع على سلم أولوياته واهتماماته وهمومه الانخراط فى مراجعات مستمرة، لفكره، ولمواقف الأقطاب من القضايا التى تقاسموا إثارتها!

وعلى الضفة الأخرى لهذا الموضوع، فإن قرارنا كان يصدر عن إيمان عميق، واقتناع كبير، بأن الصحفى إذا كان مرتبطا بمشروع حوار كبير، فإنه يجب أن يتجاوز علاقة التقيؤ المرضية بينه وبين المصدر، وبين جهاز التسجيل والقارئ، إلى علاقة تفاعل صحية بين الأطراف الأربعة، لا تدخل إلى ساحة حوار إلا بمبرر موضوعى محترم وكبير.

. . . . . .

هكذا أردناه.. وهكذا كان.. أو نأمل فى أن يكون.

. . . . . .

وهنا نص الحوار:

● **يا طيب.. يبدو لى ـ أحيانا ـ أن مساحة (الفعل) فى الأدب العربى**

الجديد أصبحت محدودة، وأنه أصبح معنيا بإشاعة طقس تغريبى غامض، أو ببناء تراكيب شكلية أو لغوية، عوضا عن توخى مقتضيات الدراما، وبدلا من إعطاء الأولوية للفعل التغييرى، أو للتحريض عليه.. فى تصورك من أين جاء هذا العارض بالضبط؟!

○ أولا ـ يا دكتور عمرو ـ دعنا نناقش ما إذا كان هذا العارض صحيح أم لا! مع كل الاحترام، أنا أعتقد أن هذا الافتراض قابل للجدل.

خلاصة سؤالك أن الأدب العربى الحديث هو مجرد لعب بالصور والألفاظ، ولا يحض أو يحرض على التغيير.

بينما أنا أعتقد أن الرواية العربية ـ على سبيل المثال ـ تطرح أسئلة كبيرة، وقضايا كبيرة، ولا تقبل بالمسلمات والثوابت، وهذا واضح عند الأستاذ نجيب محفوظ، وعند غيره. ثم هناك حفر قام به الأدب، وقامت به الرواية وصولا إلى التعبير عما أسميه (النهر الجوفى) من الأفكار والفلسفات، الموجودة فى الوجدان العربى، وفى التاريخ الإسلامى.

التحريض على التغيير ـ طبعا ـ فى الأدب ـ كما تعلم ـ لا يأتى بالطريقة المباشرة، أو التقريرية التى تحدث فى الصحافة أو فى السياسة، وربما هذا هو سبب خفوت هذه الصفة، أو عدم وضوحها.

وفى تقديرى، فإن الأدب العربى فى الخمسين سنة الماضية كان يدفع إلى التغيير.

ولكن ربما أرى أن كلمة (تحريضى) ليست هى الكلمة الصحيحة فى وصف ما تريد، وأنا أفضل استخدام كلمة (راديكالى)، التى تعنى أن يفكر الناس فى مجتمعاتنا بعمق أكثر فى حياتهم وأهدافهم.

● **أستاذ طيب.. كلمة (راديكالى) مشتقة من لفظة لاتينية هى**

(راديكالوس) أو الجذور.. ثم صارت تطلق ـ فى إطار العلوم السياسية، على التغيير أو الإصلاح الجذرى.. ومن ثم، فأنا أعتقد أنها متقدمة كثيرا ـ من حيث العنف ـ عن استخدام لفظ (تحريضى).. فماذا تريد بالضبط؟

○ أنا معك إذا ذهبنا للمعنى الاصطلاحى واللغوى للكلمة، وليس المعنى المجازى أو المفهومى.. ومن هنا أرى أن كلمة راديكالى مازالت أقل استفزازا من كلمة تحريضى، فالتحريض يقترن ـ دائما ـ بأنك تريد دفع الناس إلى القيام بثورة أو انقلاب!

وهذه ليست مهمة الأدب عموما.

● **وما هى مهمة الأدب ـ عموما ـ إذن؟**

○ أعتقد أن مهمة الأدب ـ كما قال السابقون وهذا كلام ليس من عندى ـ أن يقدم لأى شعب أو أمة أو حضارة، نوعا من الانعكاس لذاتيتها أو لوجدانها.

الناس ـ عادة ـ لا يدركون خصائص عملهم وحركتهم وحياتهم، إلا إذا وحدوا هذه الصور، وهذه الخصائص، منعكسة فى مرآة الفن والأدب.

ثم إن الأدب هو عبارة عن حوار داخل ذاته، إذ إن من أهم ما يفعله الأدب العربى المعاصر ـ مثلا ـ أنه يحاور التراث العربى والإسلامى كله.

لدينا شعراء يتمثلون بامرئ القيس والمتنبى وأبى العلاء ويستدعونهم ويحاورونهم، وكأن كل هؤلاء النجوم المبدعين التاريخيين، قد أصبحوا معاصرين لنا.

والمحاكاة والحوار، وتناول أفكار هؤلاء الأدباء الكلاسيكيين، وإعادة صياغتها، وطرحها.. هى أمور مهمة جدا ـ فى تقديرى ـ للأدب.

وعبر مثل هذه المداخل تبرز أهمية العنصر التراكمى، الذى يأمل فى إحداث التغيير على مدى طويل، وليس على مدى قصير.

قطيعة!

● **ولكن يبدو لى أن الأدب العربى أصبح فى كثير من أجزائه يخجل من تراثه، ويخضع لعلاقة صراع، أو تقاطع مع الموروث، بعضها يأتى من منبع مواجهة قوى سلفية، أصبح هذا الموروث يرتبط بالمناخ الذى تشيعه عن العودة إلى الماضى.. وبعضها يأتى من منبع الخضوع والتسليم المطلق ـ بلا قيد أو شرط ـ لطغيان تأثير الغرب، الذى يبشرنا ـ فيما يبدو ـ بزوال وتآكل «السيادة الثقافية»، كما بشرنا بزوال وتآكل «السيادة السياسية» فى عصر النظام العالمى الجديد. كيف ترى أبعاد هذه الإشكالية؟**

○ سأحاول تناول عنصرين أو ثلاثة، لأن سؤالك ـ فى الحقيقة ـ عميق، ومعقد، وملم جدا، بل ولعله السؤال المهم فى هذا العصر ـ بالنسبة لنا ـ حينما نلمح بوادر قطيعة مع التراث.

أنا ـ شخصيا ـ أرى أن هناك سوء فهم للتراث فى الساحة الفكرية والثقافية العربية.

نحن ـ كثيرا ـ ما نتحدث عن التراث بوصفه شيئا قديما فحسب.

نحن نراه عفشا قديما، أو كراكيب أنتيكة فى غرفة مهجورة من بنائنا الحضارى المعاصر، وقد نفتح هذه الغرفة أحيانا، لنأخذ منها كرسيا مازال صالحا للاستعمال!!

الموروث ـ فى حقيقته ـ يعيش فى ذواتنا، فكل فرد هو عبارة عن امتداد ـ كما نعلم ـ للتاريخ، الذى يتضمن فيما يتضمن (السلالة ـ الجينات ـ الموروث الفكرى والروحى.. إلخ).. قد تطغى أشياء على أشياء فى هذه المنظومة، طبقا للسياق أو المحيط الزمنى أو الجغرافى الثقافى أو الاجتماعى الذى ندرسها فيه.

نحن نعيش ـ الآن ـ فى لندن.

وأنا سودانى قادم من منطقة الوسط فى شمال السودان.

وأحيانا أنسى أننى قادم من هذا المكان، وأتصرف كإنجليزى لكى أتواءم مع المجتمع.

ولكننى ـ الحق.. الحق ـ أحمل تراثى داخل نفسى!!

الذين يحاولون القطيعة مع التراث يفعلون ـ ذلك ـ بأن يدفعوا ثمنا غاليا جدا، فهم يكبتون شيئا أو أشياء فى ذواتهم، على حين لا يستطيع أحدهم الادعاء بأن هذا الشىء معدوم أو غير موجود.

من جهة أخرى، فإن هناك من يفسرون التراث تفسيرات قد لا تصلح للعيش فى هذا الزمان!!

نعم.. هناك من يغالون فى تفسير هذا التراث.

ومع ذلك فهو (موجود)، وهناك ـ بسبب هذا الوجود ـ نوعا من الديالكتيك (الجدل) بين الحاضر والماضى.. والأدب والفن هما ساحة مثالية لوجود هذا الجدل.

إن رواية واحدة قد تختصر أطنانا من الورق والحبر، يسطر فيها المؤرخ أو الأكاديمى علمه التاريخى والسياسى.

وهى تفعل ـ هذا ـ عبر الحدس الموجود عند الفنان، وعبر حواره مع الحاضر والماضى، ومحاولته الإجابة على أسئلة المستقبل.

ثلاثية نجيب محفوظ، أغنت الناس عن قراءة موسوعات تاريخية وسياسية كاملة.

وكذلك أرى فى قراءة بلزاك استغناء عن قراءة الكثير من كتب التاريخ. وبصراحة، فأنا لم أفهم فرنسا المعاصرة إلا بعد أن تعمقت فى قراءة بلزاك!

الجانب الإبداعى فى الأمة مهم جدا، ولعلنا فى العالم العربى ـ إلى الآن ـ لم نفهم تماما قيمة هذا الإبداع.

● **سأستعيدك ـ الآن ـ إلى نص السؤال مرة أخرى، لإكرر أن التعرض للتراث يسحبنا ـ أحيانا ـ للمواجهة معه فى أثناء رفضنا للسلفية. كما أن انجرافنا إلى التأثر بالغرب، أو التفاعل مع الغرب، أو الانجذاب إلى الغرب، يدفعنا إلى زوال السيادة الثقافية.. هل تؤمن بمثل هذه المقولات؟**

○ فى هذه المقولات جانب صحيح لا ينكر.

نحن نرفض التطرف فى السلفية، بفهمنا نحن للتراث، وليس بمواجهة المتطرفين بشىء غير موجود.

النصوص المقدسة، تتعرض ـ أحيانا ـ لأن يفسرها الناس بطرق مختلفة، قد لا تمثلها!

ونحن نعلم أن هناك أناس برروا القتل والإرهاب باسم القرآن الكريم، وهذا خطأ تماما.

يجب أن نواجههم بهذه الحقيقة، ونقول: إن آيات القرآن الكريم تنكر هذا النهج نكرانا شديدا، فمن أين أتيتم بفكرة الدمار والقتل والإرهاب، وتصورتم أنها وسيلة مشروعة لإقامة مجتمع فاضل؟!

هذا قياس منطقى مرتبك وفاشل تماما، يقوم على أن المجتمع الفاضل، يمكن أن يولد وينمو، عبر كل هذه الشرور والآثام التى يرتكبها التطرف.

وتحضرنى ـ فى هذا السياق ـ مقولة لزياد بن أبى سفيان، أو زياد بن أبيه، عندما عين واليا على أهل الكوفة، فقال لهم: «والله لنخوض إليكم الباطل خوضا، حتى نصل إلى الحق فيكم».

هذه الجملة تعبير بليغ جدا عن الاستبداد، ولعل التطرف قد وجد ضالته

المنشودة فيها. . وقد كان عبد الملك بن مروان هو أستاذ هذه السياسة، إذ كان هذا الخليفة يبرر أى شىء فى سبيل تدعيم المُلك، هذا ـ بالضبط ـ مثل التطرف يبرر أى شىء فى سبيل الوصول إلى المُلك.

● **وماذا فيما يتعلق بالغربنة Westernization، وعلاقتها بزوال السيادة؟**

○ لقد جعلنا من قضية الغربنة مشكلة.

وإذا نظرنا ـ مثلا ـ كيف تعامل اليابانيون مع هذه القضية، سنجد أنهم لم يأخذوا ما يسمى الصفقة على بعضها (Pacage Deal) من الأمريكيين، وإنما أخذوا ما يناسبهم فقط.

التكنولوچيا هى معرفة إنسانية تراكمية وعلمية.

اليابانيون، والإنجليز، والفرنسيون، والأمريكان. . استفادوا منها، وأضافوا اختراعاتهم الجديدة، ونحن ـ أيضا ـ استفدنا منها، ولكننا نسينا.

حدث انقطاع فى ذهننا، وفى تاريخنا، وفى مساهمتنا الإنسانية، وأصبحنا ننظر إلى كل شىء وكأنه هابط علينا من السماء، بالإضافة ـ طبعا ـ إلى إحساس عميق بالدونية.

نحن مساهمون فى الحضارة المعاصرة، وإذا رجعنا إلى تاريخنا، سنجد إسهامنا واضح. . فى العلوم، والفلسفات، والرياضيات. . وكل هذا.

لقد ساهم العرب فى النهضة وعصر الإحياء الأوروبيين مساهمة كبيرة جدا، ولكننا نسينا كل هذا، وأصبحنا متلقين ومستهلكين فحسب.

وهنا، فإن من الأشياء المهمة جدا، التى يفعلها الفن والأدب إيقاظ الذاكرة الجماعية للأمة.

لابد أن تتذكر الأمة أنها ليست بهذه الدونية أو بهذا التأخر، وأنها ـ بالقطع ـ

صاحبه اكتشافات، ومغامرات علمية، ووجدانية وذهنية!

نزوع!

● **«حديثك ممتع فيه فطنة وذكاء»، على رأى شكسبير، ولكن ما تحدثت عنه فى شأن السلفية، وما تحدثت عنه فى شأن المتغربنين، كان ـ فى حقيقته ـ حديثا عن التطرف.**

ليست ـ بالضرورة ـ هذه الصورة الذهنية النمطية للتطرف الدينى (إسلاميا ـ كان ـ أوغير إسلامى)، ولكنها قد تكون مجرد الارتكان العصبى إلى مقولات قديمة، حتى لو كانت هذه المقولات القديمة، تنتمى إلى نصوص ليست مقدسة ـ بطبيعتها ـ (نصوص أيديولوچية مثلا).. العودة إليها، والخضوع لمرجعياتها فيه نزوع للسلفية، ونزوع للحديث عن الماضى والحنين إليه.. وأخشى ما أخشاه أن يكون ما تحدثت عنه ـ الآن ـ عن (تذكير الناس بالماضى) هو التصاق بمشروع سلفى، حتى وإن لم يكن دينيا.. ما رأيك؟

○ لا.. لا.

عندما توقظ ذاكرة الناس بشأن الجوانب المضيئة والإيجابية فى حضارتنا، فأنت لست سلفيا.

أنا أريد إذكاء وإفشاء حالة حوار بيننا وبين ماضينا.

حتى هذا الماضى، لم يكن وحدة واحدة، وإنما كان يموج بحوارات كثيرة، ونحن نعلم أن ابن رشد فى الأندلس دخل فى صراع مع الفقهاء، على حين كان هو نفسه فقيها.

والحوار مع هذا الماضى، قد يكون خلقا لحالة وصل مع تلك التعددية التى كانت موجودة فى بعض جوانبه، وقد يكون إعادة إنتاج للمواجهة مع الإرهاب.

الإرهاب ليس فقط ماديا بالذبح وبالدماء، ولكن الإرهاب قد يكون فكريا ـ كذلك.

هناك من يخيفون الآخرين عن أن يقولوا ما يظنون أنه الحق.. لابد من إيجاد مناخ، يقول فيه كل إنسان رأيه بأمانة، حتى نصل إلى كلمة سواء، وإلا سوف يجيء فصيل ما، أو زمرة ما، ويفرضوا علينا وجهة نظرهم، فى حين هى ليست أكثر من (وجهة نظر).

وعلى سبيل المثال.. لا يوجد شيء يجعل الدكتور حسن الترابى أفضل من العبد الفقير إلى الله تعالى الطيب صالح.

لدى اجتهادات مثله!

قرأت الكتب التى قرأها.

بل وهناك فى السودان ناس أفضل منى كثير، ولديهم وجهات نظر جديرة بالاحترام.. فكيف يأتى واحد لديه وجهة نظر معينة، ويشهر السيف، ويقول للناس: «والله لنخوض إليكم الباطل خوضا حتى نصل إلى الحق فيكم»، مثلما قال زياد بن أبيه، ومثلما أرسى عبد الملك بن مروان قواعد هذه المدرسة السياسية.

ربما يكون الترابى أذكى من أن يقول هذا علانية، ولكنه ـ فى النهاية ـ ينفذه على الأرض.

نقلة!

- **أستاذ طيب.. ما سأطرحه عليك ـ الآن ـ ليس نقلة بعيدة عن موضوع حرج، فسوف نعود إليه حالا، ولكننى أراه ملتصقا بموضوع الثقافة البديلة، التى ـ نظريا ـ ستواجه التطرف.**

إذ يبدو مشروع القراءة أو الكتابة فى أزمة حقيقية مع سيادة عصر ثقافة التليفزيون.. ما رأيك؟

○ صحيح، هذه الوسائل الجماهيرية، والتى يسمونها الحديثة ـ خصوصا التليفزيون، ألهت الناس عن الاستمتاع بالكتاب، والاستمتاع بالموسيقى، وحتى الاستمتاع بالكلام أو بالحوار.

نحن نشأنا، وشخصياتنا تبلورت، فى زمن ليس فيه تليفزيون، وحتى لم تكن هناك إذاعة، فكنا نحب القراءة، ونسعى بمجهود كبير حتى نحصل على الكتاب، وكنا نستمتع بالجلوس إلى العلماء، ونستمع إلى أساتذتنا.

كان هناك نوع من الهدوء الوجدانى.

الوسائل التى يقال عنها الحديثة، شوّشت وجدان الناس.

الفرد العربى ـ الآن ـ غير قادر على التركيز من فرط ما يتعرض له من تشويش تليفزيونى!

لابد أن نعود فى عالمنا العربى إلى إذكاء حالة احترام للكلمة المكتوبة، وهى موجودة بالفعل.

وقد فرحت فى العام الماضى، عندما أعيد نشر رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» فى سلسلة كتاب الأسرة، حيث نفدت مائة ألف نسخة، فى أقل من أسبوع.

صحيح كانت النسخة رخيصة وسعرها جنيه واحد، ولكن الظاهرة أبانت أن الناس يحبون القراءة، ومن ثم يجب أن نفكر جديا فى تحويل أنظار الناس عن الأدوات الإعلامية التى تقوم بالتشويش عليهم.

وأحب أن نقول: إن هذا يحصل ـ أيضا ـ بأن الوسائل مثل: التليفزيون، والقنوات الفضائية لا تترك هملا، وإلا تمكنت ـ عبر مداخلها واقتراباتها الحالية التى لا تخدم الثقافة فى شىء ـ أن تنتج بشرا غير قادر على التفكير، وغير قادر على اتخاذ أية قرارات، وهذا شىء خطير جدا يجب أن ننتبه إليه.

● نعود إلى ما أجلناه مرتين على أجنده هذا الحوار، المرة الأولى عندما كنا نتكلم عن القضايا الكبرى، والأسئلة الكبرى التى يثيرها

الأدب، والمرة الثانية عندما كنا نتكلم عن المواجهة مع السلفية، والمواجهة مع الغربنة.. وهما قضيتان مهمتان.

فى تصورك.. هل يؤدى هذا الإسهام والتراكم الذى تقوم به وسائل الإعلام الإليكترونية عبر الأطباق والكوابل، وبتفاهة وسطحية مضمونة، إلى تجفيف منابع هذه الأسئلة الكبرى.. أم أن هذا الخفوت لصوت الأسئلة الكبرى والإجابات الكبرى يرتبط بمدى الحيوية الاجتماعية والثقافية الجماعية فى العالم العربى؟

○ هل يمكن أن توضح لى ما تقصده (بالتجفيف)؟

● **الفكر المسير لأدوات الإعلام الإليكترونية، والإعلام الفضائى، قليل الاهتمام بما هو جاد، وأصبحت هذه الأدوات، هى أدوات تستخدم فى «سياسة» الناس وإلهائهم، كما كان الرومان يسوسون الناس بإلهائهم بالخبز والسيرك!!**

○ أنا معك فى هذا.

والأخطر أن مثل هذه الوسائل، تخلق نوعا من الإحساس بالبلبلة والحيرة، وعدم السكينة أو الاطمئنان.

ولذلك يكون الجمهور قد أصبح مهيأ لقبول آراء متطرفة!

التطرف ينجح عند الحائرين.

إذ يأتى التطرف حاملا مقولات ومواقف تبدو حاسمة وقاطعة (بغض النظر عن خطئها)، فيظن الناس أن هذا ما يحتاجون الارتباط به، وخاصة أن التليفزيون يخلق منهم كائنات متخبطة مشوشة بين الإعلان الزاعق، والسطحية، والاستعانة بكوادر بعيدة عن الثقافة العميقة، والإدراك الدارس.

وفى هذا الإطار، فإن إعطاء المعلومات الصحيحة إلى الناس، يجب أن تكون أولوية أولى لدى هذه الجهات الإعلامية.

إعطاء المعلومات الصحيحة ليس خطرا على الدولة، بل هو يرسخ دعائم الدولة؛ ثم إن تحصين المواطن فوق ذلك بمعارف محترمة عن التاريخ والثقافة، يساعد على أن يوازن بين الأشياء، ويكون له رأيه، وليس ـ فقط ـ أن يستمع إلى رأى متطرف ويسير وراءه.

أقول هذا وقد عملت لزمن فى اللجنة الدائمة للإعلام، التابعة للجامعة العربية.

ودرسنا كثيرا، وتكلمنا كثيرا فى وظيفة وسائل الاتصال الثقافية، وحتى القنوات العربية الفضائية، والقمر الصناعى العربى، وأجمعنا على أن يُعد له إعدادا صحيحا، ويستغل استغلالا صحيحا، ولكن للأسف فإن ذلك لم يحدث.

الفضاء العربى ملىء بأشياء، على أحسن الفروض تشوّش عقل المواطن، وعلى أسوأ الفروض تثبت فى ذهنة سموم قاتلة!!

المدينة!

● فما هى القضايا الكبرى التى يثيرها ـ إذن ـ الأدب المكتوب، فى مواجهة هذه القضايا الفارغة التى يثيرها الإعلام الإليكترونى؟

○ الأدب المكتوب يثير جميع هذه القضايا التى تحدثنا عنها بطريقته، وإذا انتبه الناس إلى الكتب وقرأوها بإمعان فسوف يجدوا فيها أشياء كثيرة.

● وماذا وجدت حضرتك من قضايا كبرى ـ فى السنوات الأخيرة ـ أثارها الأدب العربى؟

○ فيما أكتب ـ شخصيا ـ أكتب منذ فترة ليست قصيرة فيما يمكن تسميته (المدينة)، بمعنى إنشاء المدن بالمعنى الصحيح، والعيش فى إطارها، ليس بمعنى مجرد تجمع من الناس يقيمون فى مكان، ولكن بمنطق وجود فكر وراء هذه المدينة، التى يجب أن تكون ـ فى نهاية الأمر ـ رمزا مستمرا لطموحات الأمة ومثلها العليا.

● **صديقك، وصديقى عبد الرحمن الأبنودى، وصف لى مرة مشهد المدينة ليلا فقال: «صوت الأنين الصادر من هذه المدينة عال يا خال»!.. هل تعتقد أن ما يصدر من المدن العربية الآن هو ـ فقط ـ هذا الأنين الذى يصدم القلب ويشرخ الصدر؟.**

○ نعم هذا وصف دقيق للمدينة العربية الآن.

ولكن إثارتى لسؤال المدينة العربية لا يقف عند قواعد الإنشاء، وطرائق العيش، وإنما يمتد لمناقشة قضية الحكم، إذ عندما تقيم المدينة يجب أن تعرف ما هو نوع الحاكم الذى سيحكم هذه المدينة، وما هى علاقة هذا الحاكم ببقية الشعب.

فكر الانقلاب مثلا، يخلق شكلا آخر للمدينة ولمعاملات الارتباط بين ناسها، التى تجعلهم مختلفين جدا عن نظرائهم فى ظل فكر الاستقرار والاستمرارية.

● **تتكلم عن المدينة، وكأنها الجمهورية، أو كأنها المدينة الفاضلة.. أليس كذلك؟**

○ إذا كانت فاضلة فهذا جيد جدا، ولكن المهم أن نقترب من أن تكون فاضلة بقدر الإمكان، وربما تكون هذه ساحة من ساحات العودة إلى التراث، إذ يطرح بعض السلفيين العودة إلى نمط المدينة المنورة..

ياريت يعيدوا نمط المدينة المنورة!

● **تقصد.. أو يقصدون النمط الأخلاقى، إنما تحميل هذا النمط الأخلاقى بما ليس فيه من نظريات سياسية وطرائق معقدة للحكم.. فهذا موضوع آخر.**

○ هذا صحيح.. لكن الأدب عندنا مثل أشياء كثيرة، ليس حلقة ضمن حلقات مترابطة فى حياة الأمة.

وهذه التفرقة التى تطرحها، لا يمكن أن تظهر وتتضح إلا من خلال حالة حوار، ومن خلال تبادل الوسائل مناقشة القضية الواحدة من زوايا مختلفة.

فى بريطانيا ـ مثلا ـ عندما يظهر عمل كبير، تجد القواعد أو التيار العامMain stream قد استوعبته وشاركت فيه نتيجة تبادل الاقتراب منه عبر الوسائل المختلفة، بحيث تشارك البنت الصغيرة ـ مثلا ـ فى مناقشة أفكار جراهام جرين.

ومن هنا، حين أطرح فكرة المدينة، فأنا أقصد أن تشارك فيها التيارات المختلفة والوسائل المختلفة، عبر حالة حوار محتدمة وصاخبة.

● **تواصلت دوائر الحوار هنا فى بريطانيا حول قضايا حساسة مثل ما أثاره الكسندر فريدمان وآبى چورچ ليمايتر فى العشرينيات وطوره چورچ جامو فى الأربعينيات تحت عنوان: Big Bang، أو نظرية الانفجار العظيم وكيف ظهر الكون، وهى ـ بطبيعتها أمر يفترض وجود حواجز وحوائل تمنع الاقتراب منه ببساطة. ما الذى يخلق هذه الحالة؟**

○ الحوار الفكرى عندنا يأخذ شكل واحات منفصلة، ويسير كل خط وحده، وإذا لم تترابط هذه الخطوط فلا يمكن أن نقيم تقدما أو حضارة.

- ١٩٩٨ -

❑ ❑ ❑